رسول اللّه يتصدى لمشكلة الإرهاب والعنف

نشر بتاريخ 8 مايو 2021

بقلم: الدكتور زكريا خنجي

لا يمكن ربط الإرهاب وترويع الآمنين بالإسلام أبدًا، فالإسلام هو الدين الوحيد والمنهج الأوحد الذي يحارب الإرهاب ويعتبره مخالف تمامًا لمنهجه ومنظومته، لذلك نجد إن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم اعتنى عناية كبيرة بنشر الأمن والأمان في المجتمع المدني أولاً ثم بالمجتمع الإنساني قاطبة، ليس ذلك فحسب وإنما اعتنى بصورة تامة بمحاربة كل أشكال العنف والإرهاب؛ لأنها تتنافى مع المعاني السامية والأخلاقيات الرفيعة التي حث عليها الإسلام في التعامل مع البشر جميعهم، وذلك مصداقًا لقوله تعالى في سورة فصلت – الآية 34 (ادْفَعْ بِالّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ)، وكذلك فإن القرآن الكريم وصف رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم بالرحمة ليس ذلك فحسب وإنما دعاه دعوة مباشرة للتعامل مع البشر بالرحمة حينما قال في سورة آل عمران 159 (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ).

وفي القرآن الكريم الكثير من الآيات الكريمة التي تدعوا إلى ذلك، وكانت حياة رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم تطبيق حي لكل تلك المعاني والقيم، ويمكن الاستفادة من بعض المراجع والأدبيات، وبعض الأمثلة:

عن عائشة رضي اللّه عنها أنها قالت: دخل رهطٌ من اليهود على رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم، فقالوا: السّام [بمعنى الموت] عليكم. فقالت عائشة: فَفَهِمْتُهَا، فقلت: وعليكم السّام واللّعنة. فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: "مَهْلاً يَا عَائِشَةُ، إِنّ اللّهَ يُحِبِّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّه"، وفي رواية: "وَإِيّاكِ وَالْعُنْفَ وَالْفُحْشَ" فقلتُ: يا رسول اللّه، أَوَلَمْ تَسْمَعْ ما قالوا ؟ قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: "قَدْ قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ" رواه البخاري.

مشهد آخر، يقول أنس بن مالك رضي اللّه عنه أنه بينما نحن في المسجد مع رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم إذ جاء أعرابيٌ فقام يَبُولُ في المسجد، فقال له أصحاب رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: مَهْ مَهْ [وهي كلمة زجر بمعنى لا تفعل]. قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: "لاَ تُزْرِمُوهُ [بمعنى لا تقطعوا عليه بوله]، دَعُوهُ". فتركوه حتّى بال، ثمّ إنّ رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم دعاه، فقال له: "إِنّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لاَ تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ وَلاَ الْقَذَرِ؛ إِنّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللّهِ وَالصّلاَةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ"، ثم أمر رجلاً من القوم فجاء بدلوٍ من ماءٍ فَشَنّهُ [بمعنى صبه وسكبه] عليه. [رواه البخاري ومسلم].

هكذا بكل بساطة لم يتمكن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم أن يحل المشكلة برفق تام فحسب إذ أنه منع فيه عائشة رضي اللّه عنها والصحابة رضوان اللّه عليهم من العنف مع المخطئ، وإنما علمهم درسًا هادئًا رقيقًا دون تخويف ولا ترهيب فأبلغهم، ومرة أخرى ليس ذلك فحسب وإنما جعل من تلك المعلومات أو تلك السلوكيات والأخلاقيات تتسرب إلى كياناتهم وتتشرب بها بكل رفق ولين "إِنّ اللّهَ رَفِيقٌ يُحِبٌ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لاَ يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لاَ يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ". [مسلم وآخرون].

هذا الرفق الذي جاء به الإسلام يسري على كل شيء وكل كائن، سواء كانت امرأة أو عبد مملوك وحتى الحيوانات التي تذبح بهدف الأكل، فعن أبي يعلى شداد بن أوس رضي اللّه عنه، عن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم قال: إن اللّه كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح، وليحد أحدكم شفرته، وليرح ذبيحته. (رواه مسلم)،

وتبلغ حساسية الإسلام أنه يرفض رفضًا قاطعًا أن يرفع المسلم حديدة – فقط حديدة وليس سيف أو سكين – في وجه المسلم حتى وإن كان من باب الفكاهة والمزحة، فقد قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: "مَنْ أَشَارَ إِلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ فَإِنّ الْمَلاَئِكَةَ تَلْعَنُهُ، حَتّى وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لأَبِيهِ وَأُمّهِ" رواه مسلم وابن حبان. وفي ذلك تأكيد على حُرمة المسلم، ونهيٌ شديد عن ترويعه وتخويفه، والتعرض له بما قد يؤذيه، وهذا التحريم يشمل المسلم وغير

المسلم، فها هو ذا زيد بن سُعْنَة اليهودي يأتي إلى النبي صلى اللّه عليه وسلم؛ ليطلب دَيْنًا له عند رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم، فيأخذ زيدٌ بمجامع قميصه صلى اللّه عليه وسلم، وينظر إليه بوجه غليظ، ويقول لرسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: ألا تقضيني يا محمد حقِّي، فو اللّه إنكم يا بني عبد المطلب قوم مُطْلٌ [أي تطيلون مدة الدين حتى ينقضي]، ولقد كان لي بمخالطتكم علم. فيقول زيد بن سُعْنَة: نظرتُ إلى عمر بن الخطاب وعيناه تدوران في وجهه كالفلك المستدير، ثم رماني ببصره، وقال: أي عَدُوّ اللّه، أتقول لرسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم صلى اللّه عليه وسلم ما أسمع، وتفعل به ما أرى ؟ فو الذي بعثه بالحقِّ، لولا ما أُحاذر فَوْتَهُ [هو فوت رضا اللّه ورسوله، لأن ما فعله لا يُحِلُّ دمه]؛ لضربتُ بسيفي هذا عنقكَ. ورسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ينظر إلى عمر في سكون وتُؤَدة، ثم قال: "إنّا كُنّا أَحْوَجَ إِلَى غَيْرِ هَذَا مِنْكَ يَا عُمَرُ، أَنْ تَأْمُرَنِي بِحُسْنِ الأَدَاءِ، وَتَأْمُرَهُ بِحُسْنِ التِّبَاعة؛ اذهَبْ به يَا عُمَرُ فَاقْضِهِ حَقَّهُ، وَزِدْهُ عِشْرِينَ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ مَكَانَ مَا رُعْتَهُ" [رواه ابن حيان والحاكم].

ولم يقبل رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم أن تفجع الطيور ولا أن تحرق قرية النمل، فعن عبد اللّه بن مسعود رضي اللّه عنه قال: "كنا مع رسولِ اللّهِ صلَّى اللّهُ عليهِ وسلَّمَ في سفرٍ فانطلق لحاجته فرأينا حمَّرةً معها فرخان فأخذْنا فرخَيها فجاءت الحُمَّرةُ فجعلت تفرشُ فجاء النبيُّ صلَّى اللّهُ عليهِ وسلَّمَ فقال: من فجع هذه بولدِها ؟ رُدُّوا ولدَها إليها. ورأى قريةَ نملٍ قد حرقناها، فقال: من حرقَ هذه ؟ قلنا: نحن، قال: إنه لا ينبغي أن يعذِّبَ بالنارِ

إلا ربُّ النار، رواه أبي داود. وفي الصحيحين أن امرأة دخلت النار في هرة حبستها، لا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض.

ويبلغ الإسلام قمة السمو في الجهاد والقتال فكان صلى اللّه عليه وسلم يوصي القادة حينما يخرجون لغزوة أو سرية أو حرب فيقول لهم "... وَلاَ تَقْتُلُوا شَيْخًا فَانِيًا، وَلاَ طِفْلاً، وَلاَ صَغِيرًا، وَلاَ امْرَأَةً" [رواه أبو داوود والبيهقي في السنن الكبرى]. ويحرص رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم كذلك على تجنِّب الحرب ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، فيقول رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم لعليِّ بن أبي طالب رضي اللّه عنه عندما أعطاه الراية في غزوة خيبر: "انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ، فَوَ اللّهِ لأَنْ يَهْدِيَ اللّهُ بِكَ رَجُلاً خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ [البخاري ومسلم].

إنها عظمة الإسلام ونبي الإسلام صلى اللّه عليه وسلم، الذي حارب كل أشكال إشاعة الفوضى، وكل عمل يقوض الأمن ويُرَوع الآمنين، سواء أكان ذلك يُسمى إرهابًا، أم حرابة، أم بغيًا؛ فجميعها صور تُشيع الرعب والخوف في المجتمع، وتُرهب الآمنين فيه، وتَحُول بينهم وبين الحياة المطمئنة، التي هي وسيلة حُسن خلافتهم في الأرض بعمارتها في جو من الأمن والأمان والسلام والاطمئنان.